



فرسان الصحراء الكبرى



الرحيل الرهط من المضارب يقرع بشكل معين بينما تدل دقات أخرى على خطر وشيك أو مناسبة معينة أو طلباً للنجدة عند فقد شيء بعينه.

يحتفل بارتداء الصبي اللثام بعد تثبيت قطعة مربعة من الفضة فيه. يحدث هذا في سن الثامنة عشرة خلال حفل يكتفه الغناء ويبرز فيه الفتيان مهارات المبارزة وألعاب الفروسية. يميز البربر رجالهم من على بعد أميال وبفراسة فائقة من خلال مشية الجمل أو شكل الهودج أو مقاس الكتف أو التمايل المعين في مشية الجمل وحين يقتربون يعرفون بعضهم بشكل العيون، على الفتيات وضع وشاح شفاف على رؤوسهن عند الثامنة عشرة يختلف عن ما تلبسه المرأة المتزوجة ويشير إلى كامل نضوجها واستعدادها لاختيارها زوجها، على الرجل أن يدفع بحلي غاية في الجمال ومرتفعة الثمن للمرأة التي يريد الزواج بها مع إعطاء أبيها مهرها من الإبل. للمرأة حق تملك الأرض والدواب ويورث الرجل فقط ابن وبنت أخيه طبقاً لأعرافهم.

الصحراوية المتربة وما يمر بها من عواصف رملية إضافة إلى زمهرير الشتاء القارس كل ذلك يتطلب وشاحاً يقي العين والجهاز التنفسي ومن الطبيعي أن يكون عمامة اللثام الشهيرة.

الطوارق قوم بدو أهل فصاحة، حيث ترسم الصحاري بهودئها وامتداد كتاباتها الذهبية ولياليها الصافية التي تلمع فيها النجوم صوراً ذهنية خلابة وترمى بالبربري البدوي المتقل بين وهادها في تيار حنين جارف للاستقرار بجوار الحبيب، عند مخنجات الراحة القليلة ومناسبات الفرح يعزف الطوارق على آلة وترية تسمى «التبدينت» وأخرى تشبه الربابة تسمى «الزركة» وتشارك المرأة الرجل المستعرض بسيفه في التصفيق وقرع الطبول والرقص الذي يتخذ شكل حلقات تتسع وتنقبض على حسب اللحن وهو شكل معروف بأنماط مختلفة على امتداد أراضي الصحراء الكبرى من المحيط حتى تخوم نهر النيل، يقرع الطبل بإيقاعات ذات مدلولات مختلفة وعادة ما يوضع في خيمة سيد القبيلة، فمثلاً عند اتخاذ قرار

اللهجة «البربرية» التي تأثرت باللهجة «القرشية» بصورة فاعلة وخاصة أن الطوارق اعتنقوا واتبعوا المذهب المالكي.. ويكتب لغتهم بالحروف «الفينيقية» وتعرف «التفيناق» ويتميز بكتابتها أهل الجنوب منهم وتعرف اللغة «الأمازيغية» التي تتحدث بها جميع بطون قبائلهم وخاصة الجنوبية منها.

الأسطورة التي يرويها الطوارق عن توارثهم للثام تقول بأن رجال أكبر قبائلهم ارتحلوا بعيداً عن مضاربهم يريدون لغرض ما فجاء العدو يطلب خيامهم التي لم يبق فيها غير النساء والأطفال وكبار السن. فنصح عجوز حكيم النساء أن يرتدين ملابس الرجال ويتعممن وبأيديهن السلاح فيظن العدو أنه يواجه الرجال حقا. ففعلن وقبل التحامهن مع العدو ظهر رجال القبيلة ووقع العدو بين رجالها ونسائها وانكسرت شوكته. ومنذ ذلك اليوم عهد الرجال على أنفسهم ألا يضعوا اللثام جانبا. والبعض يربط بين اللثام وبين الخجل لطيب فضائل الطوارق. ولكن التفسير الأقرب لواقع هو أن طبيعة المنطقة